

# دعوني أصلي ..

الكاتب: د. محمد علي يوسف



دعوني أصلي ..

قالها بينما يعتدل جالسا يمسح عينيه من آثار تلك النومة غير الاعتيادية  
ويالها من آثار وفالها من نومة  
الحق أنها ليست نومة  
إنها موتة

لقد مات منذ برهة وها هو يجلس الآن في قبره وقد مثُلت له الشمس وقد أذنْت  
للغروب ولتبداً سؤالات قبره  
انتهره الملكان يسألان: أرأيتك هذا الذي كان قبلكم ما تقول فيه؟  
وماذا شهد عليه؟

مرة أخرى يكررها على مسامعهما  
دعوني حتى أصلي

كان هذا انشغاله الأول والذي عبرت عنه بوضوح كلمته المتكررة التي نصت  
عليها روایات ذلك الحديث العجيب من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم  
دعوني حتى أصلي  
ارتباطه بهذه العبادة في الدنيا خصوصا في مثل هذه المواقف؛ جعل هذا هو  
رد فعله المباشر!

يطمئنه الملكان: إنك ستفعل

ستصلني

وستتصل بمحل السكينة ومصدر الطمأنينة الذي تعودته  
ستروي شوقك وستملأ فراغ نفسك الذي لم تكن إلا الصلاة تملؤه هنالك  
في الدنيا

حيث كان من أولئك الذين اتصلوا بمعارج الطاعة وتعلقت قلوبهم بتلك العبادة  
التي هي منبع الراحة  
"أرحنا بها يا بلال"

النبي ﷺ يلخص بتلك الجملة هذه الحالة التي لا يعرفها إلا من ذاقها  
أن يمتليء فراغ الروح بلذة الاتصال بالمولى وأن يرتوي خواء الفؤاء بنبع الذكر  
وأن تخضر صهاري النفس بواحات المناجاة أثناء الصلة  
أن يأمن الهلوع ويطمئن الجزء  
كل ذلك يحدث لأنه اتصل  
وارتاح

عندئذ تفهم لماذا كان حبيبك ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلة  
ليطمئن قلبه وترتوي نفسه وتهنا روحه  
وليسعد ..

تلك السعادة التي لا يمكن أبداً قياسها بمعايير ولا يستطيع تقديرها بحدود ولا  
تشملها أطراف  
هي سعادة الارتباط والوصل  
هي أفراد الروح بسجدة تهفو فيها النفس وتحلق في ملوك السماوات  
والأرض

هي فيوضات البهجة التي تنهر على ثنايا الفؤاد بمناجاة خاشعة أو تسكبها  
على الروح تسبحة متبتلة مختلطة بدموع عابدة متبتلة  
هي الحياة الطيبة المطمئنة  
ولأجل هذه الطمأنينة شرعت الصلة في مواضع الاهتزازات الباعة للجزع  
ومواطن التغيرات المثيرة للهلع  
ندر الغيث وجفت الأرض وغيض الماء  
شمة صلاة في ذلك الحال يستستقى بها المولى وتُستطرد رحماته من السماء  
كسفت الشمس أو خسف القمر واحتجب الضياء وفزع الخلق واختلجمت قلوبهم  
وظنوا أن عذاباً قد أشرف على الأرض

فإذا رأيتموهما كذلك فافزعوا إلى المساجد  
فإذا رأيتموهما فكربروا، وادعوا الله وصلوا وتصدقوا

هكذا يأمر رسول الله ﷺ

وهكذا فعل

فزع إلى عبادة من أطول ما أُثْرَ عنِه  
قام فأطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ، ثُمَّ قَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ  
الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ،  
ثُمَّ فَعَلَ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلًا مَا فَعَلَ فِي الْأُولَى، ثُمَّ انْصَرَفَ، وَقَدِ انْجَلَتِ  
الشَّمْسُ

كما ترى .. إنها الصلاة مرة أخرى  
منحنى حاسم وقرار ينبغي أن يُتَّخَذ ومسار عليك أن تسلكه  
هلم إلى الاستخاراة

صلاة كان يعلمها النبي ﷺ أصحابه ويأمرهم بها في الأمر كله  
وَقَعَتْ مَصِيَّةُ الْمَوْتِ وَفَارَقَ الْأَحْبَةَ دِيَارَهُمْ إِلَى دَارِ الْحَقِّ وَعَلَى الْحَزَنِ الْوَجُوهِ  
وَأَغْرَرَتْ الْمَاقِيَّةَ  
قَوْمًا إِذَاً إِلَى صلاة أخرى  
صلاة الجنائز

في كل موقف جلل ستجد صلاة  
وليس الأمر بمستغرب إذا فهمت حقيقتها  
حقيقة الصلاة

تلك التي تُثْبِتُ أصحابها عند المصائب وتهبهم قرار النفوس واتزانها عند  
تقلبات الدنيا وتغيرها وتهديهم راحة يسكنون إلى ظلالها كلما مستهم مصاعب  
الحياة ومتغيراتها وتعطيهم القدرة على التحكم في ضبط الانفعالات  
والمشاعر

لأجل كل ذلك كان الاستثناء من الهلع والجزع

"إلا المصلين"

مقتضى الاستثناء أن المصلين هم أعظم الناس طمأنينةً وراحةً بالـ  
من هنا تدرك لماذا كان الفزع إلى الصلاة ديدن النبي ﷺ ومن قبله الأنبياء  
والصالحين

خصوصاً في أحلك المواقف

سيدنا إبراهيم عليه السلام حين قَدِمَ أَرْضَ جَبَارٍ وَمَعَهُ زَوْجَهُ سَارَةُ وَكَانَتْ أَحْسَنُ

النساء فلما رآها بعض أتباع الجبار قالوا لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك وقد كان

أرسل الجبار جنده فأتي بها إليه وغلب إبراهيم عليها فماذا كان بعد ذلك؟ في الرواية جملة واحدة هي ما كان يملكه وقتئذ "فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة"

لقد اتصل

واتصلت زوجه ودعت وكانت النجاة

وجريدة كذلك فعل

في صحيح البخاري أنه حين اتهم العابد الزاهد جريج بتلك الفاحشة ونسبوا إليه ولدا من زنا كان التجاءه لنفس الملجأ

في شدة تخويفه وابتلاءه حين أتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته، وجعلوا يضربونه؛ قال: ما شأنكم؟

قالوا: زنيت بهذه البغي فولدت منك فقال: أين الصبي؟

فجاءوا به

فما كان منه إلا أن قالها هو الآخر دعوني حتى أصلي نفس المطلب في كل مرة نفس الملجأ والملاذ

وهو نفسه الذي كان إليه يفرز نبينا وقد ودتنا [ح]

عشية بدر وأثناء انتظار يوم الفرقان حيث سيلتقي الجمuan غير المتكافئين عددا وعده؛ ها هو يطيل صلاته مستغيا حتى تسقط عباءته غير عابيء بسقوطها

وحين رُزِّل المؤمنون عند اجتماع الأحزاب عليهم وبلغت القلوب الحناجر واشتتدت الريح وخيم الرعب على الأجواء يومئذ يروي سيدنا حذيفة رضي الله

عنه حال رسول ﷺ قائلًا : فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبْرِ الْقَوْمِ وَهُوَ مُشْتَمِلٌ فِي شَمْلَةٍ يُصَلِّي ثُمَّ يَزِيدُ حَذِيفَةً مُؤْكِدًا : وَكَانَ إِذَا حَزَّيْهُ أَمْرٌ صَلَّى هَذِهِ هِيَ خَلَاصَةُ الْأَمْرِ وَمُحَوْرُهُ إِذَا أَهْمَهَ شَأْنٌ أَوْ أَثْقَلَ كَاهْلَهُ خَطْبًا أَوْ شَغْلَتْهُ مُصَاعِبُ الْحَيَاةِ = صَلَّى كَذَلِكَ كَانَ بَأْبَيِّ هُوَ وَأَمَّيِّ وَكَذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّونَ وَالصَّالِحُونَ مِنْ قَبْلِهِ وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ نَكُونَ مِنْ بَعْدِهِ عَلَنَا نَقْوِلُهُ بَعْدَ اِنْقَضَاءِ تِلْكَ الدَّارِ وَنَبْدأُ بِهِذَا الْمُطْلَبِ سَؤَالَاتٍ قَبْرٌ مُوحَشٌ شَعَارٌ أَنْسَهُ وَمُخْفَفٌ وَحْدَتُهُ = دُعَوْنِي .. دُعَوْنِي أَصْلِي

---

الكلمات المفتاحية:

#الصلة | #القبر

---

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعني بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.